ليلة حنة من زمن الأندلس

في قرطبة حيث الربيع ينساب بين الأزقة كأنه جزء من أهلها كانت ليلة الحنة لسما مميزة ازدانت الشوارع بالفوانيس المعلقة وتسلل عبير الياسمين من حدائق القصور بينما امتلأ بيت عائلتها بالموسيقى والضحكات وأصوات الضيوف التي تختلط فيها البهجة بالهيبة.

في الفناء الداخلي وقف زياد يحاول أن يبدو أكثر وقارًا مما يشعر به يرتدي ثوبًا جديدًا ويجلس بين رجال المدينة ووجهائها يحاول متابعة الحديث والتقاط معانيه لكن توتره كان يظهر في كل حركة بسيطة من يده وهو يمسك الكأس بحذر كأنه يخشى أن يخطئ في حضرة الجميع ورغم ذلك كان كلما لمح سما في خياله يهدأ قليلًا.في الداخل كانت سما تجلس بين قريباتها ويديها مزينة بالحناء الدقيقة تستمع إلى الغناء الأندلسي وتتابع حركة البيت بعينين هادئتين لكن قلبها كان منشغلًا به تتخيله بين الضيوف وتحاول أن تراه من خلال الضجيج كأن بينهما رابطًا خفيًا يجعلها تشعر به رغم المسافة القصيرة.

أرسلت سما إحدى قريباتها لتطمئن عليه فعادت تضحك قائلة لا تقلقي ما زال يحارب الكأس وكأنه معركة حقيقية فضحكت سما حتى كادت تفسد نقوش الحناء على يديها لكنها شعرت أن هذا الارتباك منه هو ما يجعله قريبًا من قلبها أكثر.ومع امتداد الليل امتلأ الفناء بالشعر والغناء وقف أحد الشعراء يلقي أبياتًا عن الحب بلغة معقدة جعلت الجميع ينصت بإعجاب بينما كان زياد يحاول أن يفهم المعاني أكثر من الكلمات حتى لا يشعر أنه خارج هذا العالم.

وحين اقتربت اللحظة اقترب زياد بخطوات مترددة ثم قال كنت أحاول أن أحفظ قصيدة لأقولها لك الليلة فسألته مبتسمة وأين هي فأجاب بعد لحظة صمت ضاعت بعد أول بيت فضحكت قائلة كعادتك لا تجيد الشعر فقال بهدوء لكنني أجيد أن أكون معك.في تلك اللحظة لم تكن قرطبة بكل زينتها هي الأهم بل ذلك القرب البسيط بينهما حيث يصبح وجود الآخر هو المعنى الحقيقي لكل ما حولهم.